بعد الرد الإيراني الكيان هُزم مرتين

موقع العهد الإخباري-مباشرة بعد السابع من أكتوبر/تشرين الأول، استغاث الكيان المؤقت بالولايات المتحدة لانتشاله من حافة الانحدار فأغاثته، ولولا التدخل الأميركي العاجل، لمّا استطاع الكيان الدفاع عن نفسه، وقد بدا أوهن من ذلك بكثير، وكذلك استغاث الكيان المؤقت بأميركا قبل وقوع الردّ الإيراني وأثناء وقوعه وبعده، أيّ أنّه خلال ستة أشهر وقف الكيان على حافة الهاوية الأبدية مرتين، قبل وبعد، ويستغيث فيُغاث.

ويبدو أنّه في زمن الهزائم، ليس من السهل أن تكون كيانًا وظيفيًا، وليس من السهل أن تقوم بوظيفتك الرخيصة، وأنت محاطٌ بأحزمةٍ من الصواريخ، إحاطة السِوار بالمعصم، والأشد صعوبةً أنّها في أيدي أعداءٍ ذوي بأسٍ شديد، والأنكى ذوي تصميمٍ شديد، لا يتراجعون عن أمرٍ اعتزموه خوفًا أو طمعًا، وهذا قاسمٌ مشترك لكل أطراف محور المقاومة، بغضّ النظر إن كان القرار جماعيًا أو فرديًا.

كما كان قرار القسام منفردًا في السابع من أكتوبر، كان قرار حزب الله منفردًا بالإسناد والتضامن في الثامن من أكتوبر، وهذا ينطبق على أنصار الله في اليمن وفصائل المقاومة في العراق. ورغم أنّها جميعًا قرارات فردية ابتداءً، إلا أنّها وصلت مرحلة الإجماع فأصبحت قرارًا موحدًا لا تنفصم عُراه، ويتبدى التصميم الشديد في الترهيب والترغيب الذي تمارسه الولايات المتحدة، في محاولة فكّ عُرى ذاك الإجماع، والاستفراد بكلّ طرفٍ على حدة.

وكان الجواب موحدًا في لبنان واليمن والعراق، القرار في غزّة، أوقفوا العدوان على غزّة نتوقف جميعًا دون الحاجة لطول شرح وطول مفاوضات وطول جولات، ودون الحاجة لتقديم تنازلات أو إغراءات سياسية أو مالية واقتصادية، التنازل الوحيد المقبول حاليًا هو أن تقبل الإدارة الأميركية طائعةً أو مضطرةً إعلان فشل العدوان وهزيمة الكيان، وهذا خيارها الوحيد والمتاح حاليًا في حال رغبت بالاستثمار زمنًا أطول في وظيفية كيانها المؤقت.

وهذا ما ينطبق على إيران حاليًا كقوةٍ إقليميةٍ عظمى وكأقوى أطراف محور المقاومة؛ تصميمٌ هائل امتلكته على تنفيذ ردٍ متناسب، على جريمة العدوّ الصهيوني باستهداف القنصلية الإيرانية في دمشق، ولم تجد الولايات المتحدة لثنيها عن ذلك من سبيل.

كان العالم ينام ويستفيق في حالة انتظارٍ للردّ الإيراني، وكانت تقوم أميركا وكيانها المؤقت بحشو آذان الكون يوميًا بالتحليلات والتوقعات، وتقارير استخبارية من هنا وتصريحات سياسية من هناك عن طبيعة الردّ وتوقيته ومكانه ونقطة انطلاقه، ويشعرونك أنّ القيامة قامت، فتيمم وجهك شطر إيران فتجدها تجلس رِجلًا على رجل.

إيران ليست إمبراطوريةٍ تأفل أحاديتها القطبية، وليست كيانًا مؤقتًا يقترب من الزوال مع مرور الوقت، بل هي وجودٌ طبيعي في جغرافيا طبيعية، وهي قوة عظمى إقليميًا وصاعدة دوليًا، لذا لا تتصرف بردات فعلٍ أشبه بالعشوائية أحيانًا، كما تفعل الإمبراطورية أو كما يفعل الكيان، تتصرف الولايات المتحدة تحت ضغط الحفاظ المستحيل على الهيبة، فيما يتصرف الكيان تحت وطأة مرور الوقت، الذي يمثل ساعة الرمل بالنسبة لبقائه.

لذلك كان الردّ الإيراني حتميًا لا يدانيه شك، وبعد وقوعه أصبح المهم هو البحث في شكل الصراع، حيث يبدو أنّ الردّ الإيراني كان متوافقًا تمامًا مع ما تصورناه وسجلناه هنا في مقال النصر الغزّي الخالص، بأنّه سيكون ردًا رادعًا، وفي ذات الوقت لا يحقق رغبة نتنياهو أو بايدن بعدم اعتبار الهزيمة، هزيمة أمام غزّة الصغيرة المحاصرة، بل حرب إقليمية يصعب تحديد خطوط الفصل فيها بين النصر والهزيمة، وبمجرد توقف المدافع ستتوه الهزيمة الصهيوأميركية أمام غزّة، في زحمة الاشتباك الإقليمي والمفاوضات الدولية لوقفه.

إنّ الردّ الإيراني كان حاسمًا ودقيقًا على كلّ المستويات العسكرية والأمنية والتقنية والمعنوية، حيث يُستشف هذا من التصريحات الأميركية البعيدة عن البروباغندا المؤدّية لتبرير عدم ردّ الكيان على ردّ إيران.

فمثلًا يقول بايدن "إنّ الهجوم الإيراني كان غير ناجح"، وهذه بروباغندا تفيد بأكثر من اتّجاه، ولكن أهمها التمهيد لعدم الحاجة لردّ "إسرائيلي"، ثمّ يقول بايدن "أبلغت نتنياهو عدم مشاركة أميركا بأيّ ردّ "إسرائيلي"، وهذا هو التصريح الذي ينم عن حقيقة الردّ الإيراني، حيث لو كان بالفعل كما يقول بايدن أنّه هجومٌ غير ناجح، لأثبت بالقطع أنّ إيران نمرٌ من ورق، وبالتالي لن تتردّد أميركا في سحقها، ولكن بما أنّ الردّ كان ناجحًا فقد أصبح رادعًا.

واليقينيات أنّ "إسرائيل" هُزمت مرتين شرّ هزيمة في ستة أشهر، مرةً في غزّة بعد أن استخدمت قوتها القصوى، ومرةً بعد الردّ الإيراني، حيث سقوط نظريات الأمن "الإسرائيلي" دفعةً واحدة، وقد كان الأمن "الإسرائيلي" يعتمد على نقل المعركة لأرض العدو، والآن أصبحت المعركة في فلسطين المحتلة، كما أنها كانت تعتمد على الهجوم الاستباقي، فيما هي الآن في خانة الدفاع، وأيضًا كان الكيان قادرًا على ردع كلّ محيطه بل والاعتداء على الجميع دون رادع، اليوم لم يعد قادرًا على حماية نفسه دون تدخلٍ مباشر من دولٍ غربية وعلى رأسها الولايات المتحدة بكلّ ترسانتها العسكرية والتقنية.

وعليه فإنّ الردّ الإيراني ليس منفصلًا عن طوفان الأقصى بنتائجه ومساراته، وإن جاء ردًا على جريمة استهداف القنصلية، بمعنى أنّه ردٌّ إيرانيٌّ في القرار والتنفيذ، لكنّه يصبّ في خانة النصر الفلسطيني الغزّي المستمر والمتراكم منذ السابع من أكتوبر.

الردّ الإيراني كان حاسمًا ودقيقًا على كلّ المستويات العسكرية والأمنية والتقنية والمعنوية

الرد الإيراني ينسف حافة الهاوية ويفقد العدوّ هامش مناوراته

ايهاب شلوفي
كاتب ومحلل سياسي

بالطبع لا يزال من المبكر تقييم الرد الإيراني على العدوّ الصهيوني بشكل عسكري دقيق، لأن الرد لا يزال جاريًا ولأنه مرحلة تاريخية جديدة وليس مجرد عملية عسكرية. ولكن حدوث الرد في ذاته بهذه الطريقة يدشن مرحلة جديدة ويدشن عدة حقائق سياسية واستراتيجية جديدة، ولذلك نرى أهمية كبرى لتناول الرد من زاوية قراءة الدلالات والرسائل قبل قراءته عسكريًا من زاوية الخسائر أو القتلى. وهنا لا بد من الوقوف على الدلالات والرسائل التالية:

١ - الرد الإيراني لم يكن ردًا على العدوّ الصهيوني فقط، بل كان ردًا شاملًا على من أساؤوا تقدير قوة إيران ومارسوا الدعايات السوداء المضادة لإيران بالافتراء عليها ووصفها بالبراغماتية وانها تسعى لتشكيل اذرع بغرض النفوذ فقط وانها لن تتورط في مواجهات عسكرية، أو من مارسوا الدعايات التافهة التي لا تستحق عناء الرد من كون العداء الإيراني للصهاينة مسرحية وأن هناك تفاهمات إيرانية أميركية صهيونية خفية، أو حتى من بعض القطاعات التي تنتمي لمعسكر المقاومة الواسع والذين شككوا في قدرة إيران وقوتها وأساؤوا الظن وتوقعوا أنها ستبتلع الضربة أو سترد ردًا رمزيًا لحفظ ماء الوجه. وبالتالي كان الرد بهذه الصورة الكبرى رسالة للجميع بأن إيران مقتدرة وشجاعة وانها لا تخشى المواجهة الشاملة ليس مع الكيان فقط بل مع رعاته وعلى رأسهم الولايات المتحدة.

٢ - خروج الرد من قلب الأراضي الإيرانية هو رسالة كبرى لتحدي جميع التهديدات والفزاعات والتي حاولت ثني إيران عن الرد بهذه الطريقة وحاولت حشر إيران في رد خارجي لتكريس صورة استغلال إيران للأراضي الخارجية وعدم التورط في أي مواجهات ولضمان محدودية الرد بلحاظ ان أي رد من خارج الأراضي الإيرانية لن يتمتع بإمكانيات الرد من الداخل. وبالتالي قامت إيران بتحدي التهديدات الأميركية والصهيونية وقالت للعالم ان استهداف القنصلية هو مساس بالسيادة وبارض إيرانية وبالتالي يخرج الرد من الأراضي الإيرانية وانه أمر حاسم لا يقبل النقاش، وبالإضافة إلى ذلك هو أمر رادع ويكفل الحماية لمصالح ومؤسسات إيران بالخارج ولأراضي وسيادة الدول التي تستضيف المصالح والبعثات الإيرانية.

٣ - في تفاصيل الرد باشتماله على عمليات مركبة بين المسيرات والصواريخ المتنوعة ترسل إيران رسالة اقتدار أنها تستطيع استهداف كامل جغرافيا فلسطين المحتلة وتصل لأي بقعة وهدف في العمق الصهيوني، وانها ولو اختارت هذه المرة أهدافا عسكرية، فإنها تستطيع استهداف جميع الأهداف الاقتصادية والمؤسسات الحيوية.

٤ - استبقت إيران عملية الرد بتوقيف السفينة المملوكة للصهاينة في مضيق هرمز لترسل رسائل مركبة، بأنها أولًا تستطيع إيقاف كافة المصالح الصهيونية في مضيق هرمز ومصالح من يشارك الصهاينة أيضًا في العدوان على إيران، كما انها تنوع بين وسائل محور المقاومة كله في الرد بمفردها، فهي توقف السفن كما توقفها اليمن، وتستهدف العمق الصهيوني كما يستهدفه حزب الله والمقاومة العراقية والمقاومة في غزّة.

٥ - أكدت إيران ان جبهات المقاومة مستقلة في قراراتها وأن الرد جاء إيرانيا خالصا ومن داخل الأراضي الإيرانية. وهي رسالة كبرى بأن الرد الذي اوقف جميع المطارات والخدمات وجعل الشعب الإسرائيلي بكامله في الملاجئ كان فقط من إيران، فما حال العدوّ لو اشتركت الجبهات المقاومة كلها في استهداف العدو؟

لا شك أن هذا الرد الإيراني رغم اشتماله على كلّ هذه الدلالات والرسائل هو رد يأتي في إطار التعقل وبالتعبير الشعبي يمكن وصفه بأنه "قرصة أذن" للكيان وأميركا، وهو رسالة ردع وتثبيت معادلات ورسالة حاسمة بأن وحدة الساحات مستمرة وأن سياسة حافة الهاوية التي يستخدمها الأميركي والصهيوني باستهداف إيران مباشرة إذا بقيت على دعمها للمقاومة قد تم نسفها، لأن إيران لن تسمح باستهداف ارضها ولن تخشى المواجهة، فقد جاء الرد على استهداف قنصليتها بالخارج بهذا الشكل الموسع والجريء والذي لم يتوقعه العدوّ بل ولا حتّى بعض الاصدقاء والحلفاء. وبالتالي تم إيصال رسالة جادة وصارمة بأن إيران لا تخشى المواجهة وأن هذه السابقة التاريخية الأولى باستهداف الكيان من الأراضي الإيرانية هي تدشين لمرحلة جديدة مفادها أن إيران باقية على خياراتها بدعم المقاومة سياسيًا وعسكريا، وأن أي مساس بها سيقابل باستهداف الكيان ومن يعاونه ومن يفتح ارضه واجواءه للعدوان عليها.

هنا تثبيت لوحدة الساحات وإعلان عن الجهوزية التامة الصادقة للمواجهة الكبرى، ولا سيما أن الأسلحة الإيرانية التي لا تصَد ولا تُرَد والتي تستطيع إلحاق الدمار بالكيان لم تستخدم بعد في الهجوم. الكرة لا تزال بالملعب الصهيو أميركي، وبعد نسف حافة الهاوية وفقدان العدوّ لمناورته الكبرى بالتلويح بها، ليس امامه الا الاعتراف بقوة المحور وثباته ووعده الصادق، فإذا ما أراد التصعيد فإن الخطوات القادمة ستكون أكثر فتكًا بالكيان، واليوم اكتمل دخول محور المقاومة رسميا بكامله في المواجهة بعد دخول إيران أكبر قوة فيه وراعيه الأكبر.

كان الرد بهذه الصورة الكبرى رسالة للجميع بأن إيران مقتدرة وشجاعة وانها لا تخشى المواجهة الشاملة ليس مع الكيان فقط بل مع الولايات المتحدة